

كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت، في الجلسة الافتتاحية العاشرة للأيام البحثية، يوم الخميس الواقع فيه ٩ أيار (مايو) ٢٠١٩، في الساعة السادسة مساءً، في حرم العلوم الطبية - مدرّج C.

من واجبنا الترحيب بمعالّي وزير البيئة السيّد فادي جريصاتي الذي قبل أن يكون راعياً لهذين اليومين المتعلّقين بالبحث العلميّ حول البيئة اللبّانية، والتلوّث والصحة. وإنّي إذ أشكركم على وجودكم معنا في هذا المساء، اعلموا بأنّ جامعتنا ما زالت تتمي قدراتها الحقيقية فيما يتعلّق بالبحوث حول البيئة اللبّانية في مختلف جوانبها، ليس فقط لأغراض علمية، ولكن من أجل أن تتمكن من أن تكون أفضل وتكون دوماً في خدمة لبنان هذا الذي ساعدت في نشأته في العام ١٩٢٠ وحتى قبل ذلك، وفي نموّه. يتمثّل دور الجامعة، في ما يتخطّى جامعة القديس يوسف، في ضمان التفكير الأكاديميّ والعلميّ حول جميع الموضوعات التي تهّم المجتمع والدولة. نتيجة لذلك، نسعى لدعم المشاريع التي تسعى إلى تحسين نوعية حياة مواطنينا.

برنامج هذين اليومين الذي بلورته نيابة رئاسة الجامعة للبحوث، هي فرصة لشكر السيّد نائب رئيس الجامعة للبحوث وفريقها على بذلهم الجهود، فأقلّ ما يُقال في البرنامج إنّه مثير للإعجاب من حيث حجمه وعدد المحاضرين فيه وكذلك من خلال تنوّع المواضيع والموضوعات التي يتناولها. إنّه انعكاس لوفرة الأعمال البحثية التي نتجّزونها أنتم أنفسكم، أيّها المعلّمون الأعزّاء، في إطار سياسة تسعى إلى دعم جودة هذه الأعمال وأهميتها. وكذلك الأمر، يكشف هذا البرنامج عن قدرة جميع التخصصات تقريباً في المساهمة في قضايا البحوث التي تتناول البيئة والتلوّث بهدف حماية صحة اللبّانيين وضيوفهم على هذه الأرض التي لطالما كانت تعني الضيافة، ولكن بلا حدود مفتوحة لجميع القادمين.

بالنظر إلى البرنامج الذي تمّ اليوم والذي سيتمّ غداً، وبقراءة الفصل الطويل المكرّس للبحث في تقرير الاعتماد لجامعتنا من قبل وكالة "أكين" Acquin لمدة ستّ سنوات (وهو يُعطى عموماً لمدة ٥ سنوات على الأكثر)، إنّها فرصة بالنسبة إلى رئيس الجامعة وأمام كبار الباحثين المتمرّسين في الجامعة للفت الانتباه إلى النقاط التالية :

النقطة الأولى هي أنّ الجامعة تسير على الطريق الصحيح من حيث تطوير أعمال البحث العلميّ. يمكننا أن نقول إنّ جامعة القديس يوسف هي جامعة بحثية. يتوجّب علينا الاستمرار في زحمننا من خلال تشجيع المعلّمين المتفرّعين الذين لم يحصلوا بعد على الدكتوراه للقيام بذلك في الموعد المحدّد القريب والمقبول أكاديمياً. بهذا المعنى، تمّ حديثاً إنشاء مُعاجل لتحفيز البحوث بالاشتراك مع الجامعة الأمريكيّة في بيروت برأسمال قدره مليون دولار، وبدعمٍ من البنك المركزيّ، لإتاحة الفرصة لـ ١٢ فريقاً بحثياً من الجامعتين للقيام بأعمال مشتركة بهدف إنتاج المعرفة العملية للسوق اللبّانية والدولية أيضاً.

النقطة الثانية التي لاحظتها المؤسسة المانحة للاعتماد هي أنّ الأبحاث موجودة بالفعل، ولكن هناك انفصال بين عدد الأعمال وجودتها من جهة، بما فيها الأعمال المنشورة، وإنتاج المعرفة والمعارف الجديدة الذي هو الهدف النهائي للبحث من جهة أخرى. وكذلك الأمر، لا توجد رؤية واضحة كافية للعلاقة القائمة بين البحث ونتائجه والتعليم المقدم للطلاب وكيفية دمج البرامج الأكاديمية بنتائج البحث في الممارسة.

النقطة الثالثة تتعلق بمراعاة الاستثمار الشخصي للمعلم في البحث العلمي في تقدم حياته المهنية. يجب أن نتحدث عن ذلك معاً بطريقة موضوعية، مع العلم أنّ الجامعة ستقوم بما هو ضروري عندما يكون هناك تأكيد على أنّ الباحث يحقق أهدافه بطريقة واضحة جداً.

النقطة الرابعة تتعلق بعدد الهيكلية البحثية، أي المراكز والمختبرات التي يجري البحث فيها، والتي يجدها الاعتماد هامة جداً بالنسبة إلى جامعة بحجم جامعتنا وبالنسبة إلى الموضوعات التي يتم تناولها. ترتبط هذه الإشكالية بإشكالية أخرى، تلك التي تؤكد أنّ البحث يتم بطريقة فردية أكثر منه بطريقة جماعية وبفريق بحث، ممّا يصبح ضرورة وفقاً للمعايير الدولية. من خلال النظر عن كثب في عناوين مداخلات هذين اليومين وهوية المحاضرين فيهما، نلاحظ أنّ هناك عدداً قليلاً جداً من الأعمال الجماعية أو ضمن فرق يتم تقديمها.

إلى هذه النقطة الرابعة ترتبط نقطة خامسة ألا وهي الميل إلى عدم الخروج من إطار اختصاص المحاضرين في قيامهم بالأبحاث. ومع ذلك، كما نعلم، كلّ موضوع أو محور من محاور أحد البحوث، وكذلك كلّ مشروع، يتطلب في مكان ما جرعة من تداخل التخصصات في ضوء الأبعاد المعرفية لأيّ موضوع وخاصةً عندما يتعلق الأمر بالبحث العلمي ذي التأثير العملي.

هذه الرؤية البنّاءة السريعة حول الاستنتاجات الأولى لتقرير "أكين" Acquin حول حالة الأبحاث وهيكليةاتها ومحاورها المثمرة، ليست سوى دعوة لكل واحد منا للمشاركة في ورشة العمل هذه، ورشة إعادة تقييم البحوث لأنها إحدى القيم المضافة التي تفخر بها أمنا المرمية. على سبيل المثال، دعونا نذكر أنّ كلية الطب تمكنت مؤخرًا من الانخراط في التصنيف العالمي بين كليات الطب السبعة آلاف وذلك بفضل عدد الأعمال البحثية المنشورة على منصة Scopus. سيتعين على كلّ واحد منّا أن يكون معنيًا بهذه الورشة ليجعلها تُنجز في أقرب وقت ممكن.

زملائي الأعزاء،

ستكون أعمالكم في هذين اليومين ثمينة ؛ ستكون أكثر قيمة حيث إنّه يمكننا استخلاص استنتاجات عملية يمكن تحقيقها وتأثيرها على الحياة اليومية لمواطنينا. بهذه الطريقة ستواصل الجامعة تألقها وتكون في خدمة الدولة اللبنانية بحيث تكون أقوى وأكثر قدرة على الاستجابة للمشاكل الأكثر تنوعًا التي تهددنا. لا يجب أن يكون لبنان معادلاً للبلد الذي يجعل رأس ماله البشريّ الذكي يهرب، لكن يجب أن يكون البلد الذي يحتفظ بأدمغته لكي تعمل من أجل تغيير بلد الأرز وتنميته.